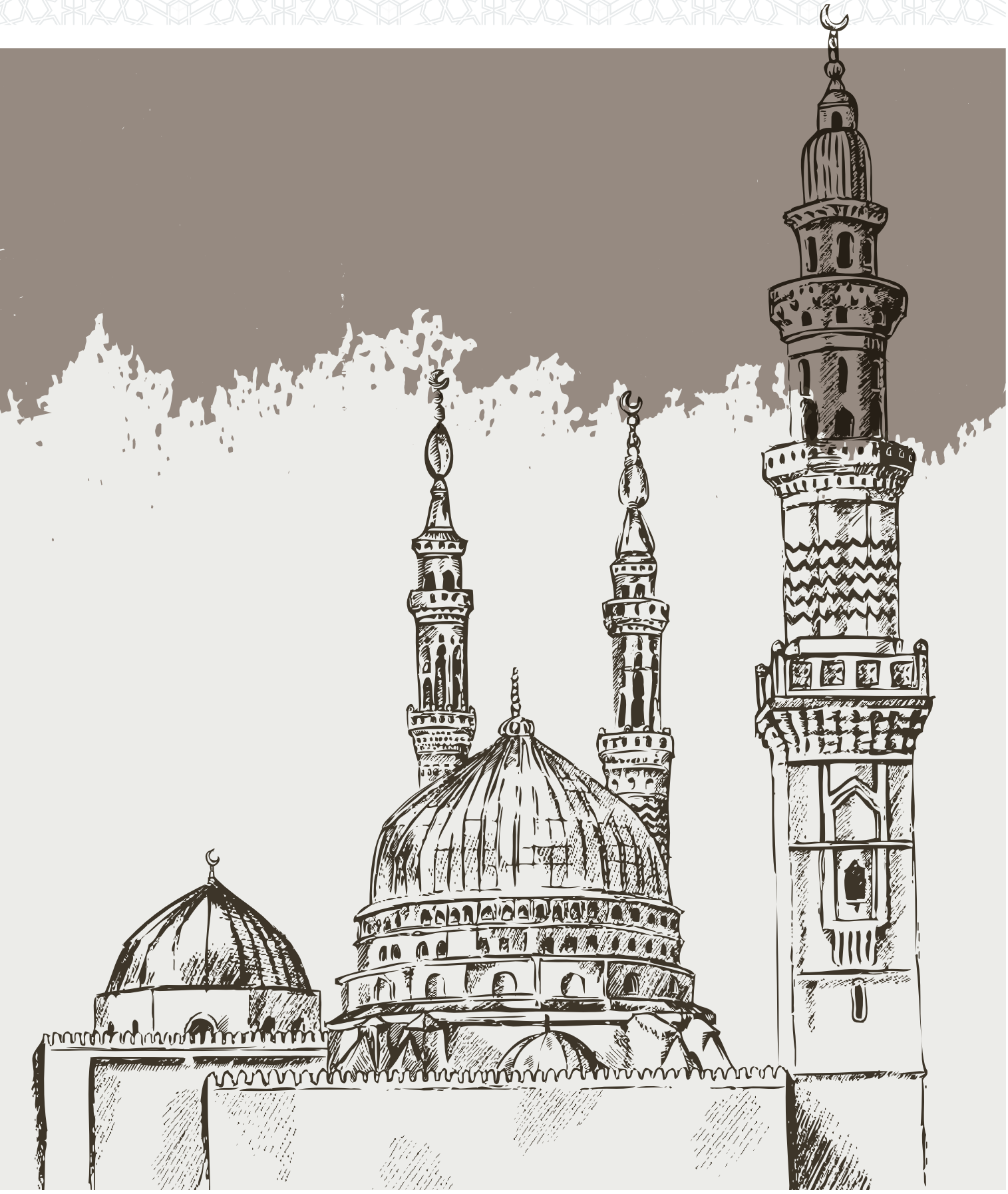

عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كنتُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يومًا، فقال:

١ «يا غلامُ، إنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ،

٢ احْفَظِ اللهَ

٣ يَحْفَظْكَ،

٤ احفَظِ اللهَ تَجِدْه تُجاهَكَ،

٥ إذا سألْتَ فاسأَلِ اللهَ،

٦ وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ،

٧ واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لوِ اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ، لم يَنفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتَبَه اللهُ لكَ، ولوِ اجْتَمَعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتَبَه اللهُ عليكَ،

٨ رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[٢٠١].

(٢٠١) رواه الترمذيُّ (٢٥١٦).

آيات

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].
- ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].
- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].
- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

الراوي

هو: أبو العبَّاس، عبدُ الله بنُ عبَّاسِ بنِ عبد المطَّلِب، القُرَشيُّ، الهاشميُّ، وُلد بـ«شِعب بني هاشم» قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وهو ﷺ حَبر الأمَّة وتُرجمان القرآن، دعا له النبيُّ ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١]، وهو من الصحابة المُكْثِرين من رواية الحديث، أسلم صغيرًا، ولازَم النبيَّ ﷺ بعد الفتح وروى عنه، وكُفَّ بصرُه في آخِرِ عُمُره، وتُوفِّيَ بالطائف سنةَ (٦٨هـ)[٢].

خلاصة

يُوصي النبيُّ ﷺ ابنَ عمِّه عبد الله بن عباسٍ ﷺ بوصايا جامعة، في توحيد القصد والطلب، وأن لا يسألَ غير الله تعالى ولا يستعين إلا به، ويُهيِّئ قلبه أنَّ الأمور كلها بقدر الله تعالى، وأنه لن ينفعه أحدٌ أو يضره إلا بشيء قد كتبه الله تعالى.

(١) رواه البخاريُّ (١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٧).

(٢) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البرِّ (٣/ ٩٣٣)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٢٩١).

١ يريد النبيُّ ﷺ أن يُعلِّم ابنَ عباسٍ ﷺ دروسًا في الإيمان وحُسن الاعتقاد في الله تعالى، فيَجذِب سمعَه وعقله لِما يذكره من العلم، فيقول: «إني أعلِّمك كلمات»، أي: فاحفظها وافهَمها واعمَل بها وتدبَّر معناها وعلِّمها لمن بعدك.

٢ وأولُ ما علَّمه النبيُّ ﷺ هو أن يحفَظ الله تعالى؛ **وذلك بحِفظ حدوده وأوامره، فيَأتمِر بما أمره، ويَنتهي عمَّا نهاه**، قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

٣ فإذا حَفِظَ الإنسانُ حُدودَ ربه وامتثل أوامره جُوزِي بجنس عمله؛ فكما يَحفظُ اللهَ يحفظه الله.

وحِفظُ الله تعالى شاملٌ لحفظ البدنِ والأعضاء ومنافع الإنسان وحواسِّه، ولا يقتصِر الحفظُ على الإنسانِ فحسب، بل يتعداه إلى أهله؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وأرفع درجات حفظ الله للعبد أن يحفظ دينَه، فيعصمه من خطوات الشيطان ويصرفه عن وساوسه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

٤ ثم ذكَر ﷺ جزاءً آخر لمن يحفظ حدود الله تعالى، **وهو أنَّه يجِد الله معه في كل أحواله**؛ ينصره ويدافع عنه ويؤيده ويستجيب دعاءه ويتقبَّل عملَه؛ قال تعالى في الحديث القُدُسي: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُهُ، كنتُ سمْعَه الذي يسمَع به، وبصرَه الذي يُبصِر به، ويده التي يبطِشُ بها، ورِجْله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذَني لأُعِيذنَّه»(٢٠٢).

٥ ثم أرشده ﷺ إلى بابٍ عظيمٍ من أبواب التوحيد وحُسن الاعتقاد، وهو إفرادُ اللهِ تعالى وحده بالسؤال والطلب، فلا يدعو أحدًا غيره؛ إذ الدعاءُ عبادةٌ من العبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ولذلك قال ﷺ: «الدعاءُ هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠](٢٠٣). فجعل التخلِّي عن الدعاءِ استكبارًا عن العبادة.

٦ ثم أمره ﷺ بألَّا يستعين بغير الله تعالى، والاستعانة بالله تعالى هي **طلب المساعدة والعون منه سبحانه في الحصول على ما يقصده العبد من أمر دينِه وآخرته مع الثقةِ به سبحانه**. وهذه العبارة كالتوكيد للعبارة السابقة؛ فالاستعانة سؤالٌ ودعاء.

---

(٢٠٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢٠٣) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذيُّ (٣٢٤٧)، والنسائيُّ في «السنن الكبرى» (٣٨٢٨).

وقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» مأخوذ ومقارِب لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥][٢٠٤].

على أنَّ الاستعانة بالمخلوق فيما يَقدر عليه جائزٌ ومشروعٌ، أما الاستعانة المحرَّمة فهي الاستعانة بالمخلوق فيما لا يَقدر عليه إلا الله تعالى، كدعاء الأموات والتوسل بالأضرحة.

٧ ثُمَّ علَّم النبيُّ ﷺ ابنَ عمِّه ﷺ حقيقةَ التسليم والرضا بقضاء الله وقدَره وصِدق التوكُّل عليه؛ فإنَّ الأمرَ كله لله تعالى، وكلُّ ما يحدث للعبد من السَّرَّاء والضَّرَّاء من الله تعالى، كتبه على عبدِه قبل أن يخلق السماوات والأرض، فلو اجتمع الخلقُ على منعِ ما كتبه الله تعالى ما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يُصيبوا العبدَ بما لم يكتبه الله عليه من الخير أو الشرِّ ما وَصَل إليه من تدابيرهم شيءٌ؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

٨ ثم أخبَر ﷺ أنَّ المقادير قد كُتبت وفُرغ منها، فلا يصيب العبدَ إلا ما كتبه الله عليه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال ﷺ: «كتَب اللهُ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألْفَ سنةٍ»[٢٠٥].

(٢٠٤) انظر: «نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ ﷺ لابن عبَّاس» لابن رجب (ص ٩٣).

(٢٠٥) رواه مسلم (٢٦٥٣).

١ هذا الحديث يَشتمل على وصايا عظيمة في أمور العقيدة والتوحيد، مما لا غنى للمسلم عنها، ولهذا قال بعض العلماء: تدبَّرتُ هذا الحديث، فأدهشني وكِدتُ أَطيشُ، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث، وقلَّة التفهُّم لمعناه![٢٠٦]. فينبغي علينا أن نهتم بهذا الحديث، ونتفهم معانيه، ونعمل بتلك الوصايا النافعة.

٢ اهتمَّ النبيُّ ﷺ بتعليم الصِّبيان والأطفال مبادئ الدين وأصوله؛ فهمْ شباب المستقبل، وعماد الأمة وقوتها، فلا ينبغي أن يغفُل عنهم الدعاةُ والمُرَبُّون والعلماء.

٣ استهلَّ النبيُّ ﷺ كلامَه بقوله: «يا غلامُ، إني أُعلِّمكَ كلماتٍ»، مما يجذِب الانتباهَ، ويَسترعي الفَهْم، ويَجلِب النَّظرَ، وهذا مما ينبغي على الداعية اتِّباعُه، أن يستهلَّ كلامَه بما يجعل المتلقِّيَ متشوِّقًا إليه، ومن ذلك النداء.

٤ من أمارات حسن تأدُّب الطالب مع معلمه أن يفهم ويعي عن معلمه كل ما يقوله، ويعمل به ويبلغه للناس، فابن عباس رضي الله عنهما تعلم وعمل بما في الحديث وبلغة للأمة جمعاء.

٥ قال بعض السَّلَف: «مَن اتَّقى الله، فقد حفِظ نفْسَه، ومَن ضيَّع تقواه، ضيَّع نفْسه، والله الغنيُّ عنه»[٢٠٧].

٦ كان بعضُ العُلماء قد جاوَزَ المِائةَ سَنةً، وهو مُمَتَّعٌ بقُوَّته وعقله، فأراد يومًا أن يعبر قناةً تعترض طريقه، فوَثَبَ يومًا وَثْبَةً شديدة، فتعجَّب تلامذته من قوته على كِبر سنِّه، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصِّغَرِ، فحفظها اللهُ علينا في الكِبَرِ[٢٠٨].

٧ أشار النبيُّ ﷺ إلى بعض البيوت، وقال لأصحابه: كانت في هذا البيت امرأة خرجت في سرية للجهاد مع المسلمين، وتركت ثنتي عشرة عنزةً الغنم، وعصاها التي تنسج بها، فلمَّا رجعت فقدت العصا وعنزةً، فقالت: يا ربِّ، إنكَ قد ضمِنْتَ لِمَن خرج في سبيلكَ أن تحفَظ عليه، وإني قد فقدتُ عَنْزًا من غنمي وصِيصِيَتِي، وإني أَنْشُدُكَ عَنزي وصِيصِيَتِي»، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكُر شدَّة مناشدتها لربها - تبارك وتعالى - قال رسولُ الله ﷺ: «فأصبحتْ عَنزُها ومِثلها، وصِيصِيتها ومثلها، وهاتيكَ فأْتِها فاسألها إن شئتَ»[٢٠٩].

---

(٢٠٦) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٦٢).

(٢٠٧) «نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ لابن عبَّاس» لابن رجب (ص ٥٤).

(٢٠٨) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٦٦).

(٢٠٩) رواه أحمدُ في «مسنده» (٢٠٦٦٤).

٨ إذا أراد العبدُ أن يحفظه الله تعالى ويحفظ أهله وماله فليتقِ الله تعالى، قال ابنُ المُنْكَدِرِ -رحمه الله-: «إنَّ اللَّه ليحفظُ بالرجل الصالح ولدَه، وولدَ ولدِه، والدُّوَيْرَاتِ التي حَوْلَه، فما يزالون في حفظ من الله وسِتْرٍ»[٢١٠]. وقال سعيد بن المسيِّب -رحمه الله- لابنه: «إني لأَزيد في صلاتي من أجْلك؛ رجاءَ أن أُحفَظَ فيكَ، وتلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢][٢١١].

٩ كان النبيُّ ﷺ أحرصَ الناس على تعليم الأمَّة الاستعانةَ بالله تعالى؛ فقال ﷺ: «احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعِنْ بالله ولا تَعجِزْ»[٢١٢]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: «أوصيكَ يا معاذُ، لا تدعَنَّ في دُبر كلِّ صلاة تقول: اللهم أعنِّي على ذِكركَ وشُكركَ وحُسْن عبادتكَ»[٢١٣]. فينبغي أن يلتزم كل مسلم بتلك الوصية التي ما أكْثَرَ ﷺ منها إلا لعظم أهميتها.

١٠ من أعظم العظات التي ينبغي على العبد استحضارُها قولُ وهب بن منبِّهٍ -رحمه الله- لرجُل كان يأتي الملوك: ويْحَكَ! تأتي مَن يُغلق عنك بابه، ويُظهر لك فقره، ويواري عنك غِنَاه، وتدع مَن يفتح لك بابه نصفَ الليل ونصفَ النهار، ويُظهر لك غِناه، ويقول: ادْعُني أستجبْ لك![٢١٤].

قال الشاعر:

لا تسألَنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ
اللهُ يَغضَبُ إن تَرَكْتَ سؤالَه ... وبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغْضَبُ

(٢١٠) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٦٧).
(٢١١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٦٧).
(٢١٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٢١٣) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائيُّ (١٣٠٣)، وصحَّحه النوويُّ في «خلاصة الأحكام» (١/ ٤٦٨)، والألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٥/ ٢٥٣).
(٢١٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٨١).